9me Année No. 421

Lundi - 28 - 7 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٢١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ رجب سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢٨ يولية سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــرس

صفحة

٩٤١ قديس الوطنية المصرية ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٩٤٤ للأموتى الشاعر ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٩٤٧ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٩٥١ كارثة « دمشق » ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...
٩٥٤ منارة اليتم ... ... : الأستاذ شكرى فيصل ...
٩٥٦ الوحدة العربية ووحدة اللغة : الأستاذ يوسف كمال حشاتة
٩٥٩ فن تيمور ... ... : السيدة الفاضلة وداد سكاكينى
٩٦٠ كبرياء ! ... [قصيدة] : الأستاذ صالح جودت ...
٩٦٠ الليل والضائع ... « : الدكتور ابراهيم ناجى... ...
٩٦١ يا قبره ! ... ... « : الآنسة الفاضلة فدوى طوقان
٩٦٢ السيجارة ... ... : الأستاذ أحمد على الشحات
٩٦٤ جواب ... ... : الأستاذ السلامة « وحيد »
٩٦٤ إلى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ... ... : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٩٦٤ فى الغنة ... ... : الأستاذ الكبير « ا . ع »
٩٦٥ حول السواد — أوهام لغوية : الأستاذ صلاح الدين المنجد
٩٦٦ بين العزوبة والزواج ... : الأستاذ خليل السالم ...
٩٦٦ حول اللهجات العامية ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
٩٦٦ الزاد الأخير ... ... : الأديب عبد الرحمن الخميسى
٩٦٧ فى وزارة الخارجية [قصة] : بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

قديس الوطنية المصرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرفت الوطنية المصرية زعماء مختلفين منذ الثورة العرابية ، ولكنها لم تعرف منهم أحداً أحق من « محمد فريد » صاحب هذه السيرة [1] بلقب القديس الوطنى ، لأن العقيدة الوطنية لها قديسوها - كالعقيدة الدينية على ما نعلم ؛ وأخص ما للقداسة من صفات هى الإيمان والفداء والسماحة وخلوص الضمير . وقد اجتمعت هذه الصفات لمحمد فريد اجتماعاً لا يتارى فيه أحد ، فهو فى محراب الوطنية المصرية من الزعماء القديسين لا مراء .

كان فداؤه رحمه الله فداء لا غبار عليه ولا شبهة فيه : ترك الوظيفة فى العهد الذى كان الناس فيه يحجبون لتارك الوظيفة ولا يحجبون للمنتحر تارك الحياة . ولم يتركها طمعاً فيما هو أكبر منها ، لأنه كان يقود حركة بينها وبين أقرب مراحل النجاح سنون وسنون ، ولم يكن يجهل بُعد الشقة ولا بُعد الرجاء الذى كان يرتجيه .

ثم لم يطلب المال وهو ينزل إلى معترك السياسة ، فقد كان المال موفوراً بين يديه ، وقد أضاعه كله غير نادم عليه وهو فى منتصف الطريق .

(١) محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية لمؤلفه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك .

ولم يطلب الألقاب والمظاهر، فقد أغضب الذين يمنحونها في مصر والآستانة : أغضب الخديو بحملته على سياسة الوفاق وإصراره على الدستور ، وأغضب السلطان العثماني بإصراره على استقلال مصر وللمناداة « بمصر للمصريين »

وحرم نفسه الراحة وهو في وطنه ، كما حرم نفسه الراحة وهو غريب عنه ، فكان جماعة « تركيا الفتاة » يناوئونه ويضايقونه لأنه أبى في الحرب العظمى أن يستبدل احتلالاً باحتلال ، وصارحهم أن مصر لا ترضى لنفسها مكان الولاية العثمانية على أي نحو من الأنحاء

وبلغ الذروة العليا من المفاداة حين واجه الموت البغيض أنفة منه أن يواجه التسليم ولو مع السكوت ؛ فقد ثقل عليه الداء في أوربا وعلم أن الجو المصري أنفع الأجواء له والشتاء مقبلة ، وضائقة العالم بعد الحرب محكمة ، وليس أثقل من مرض وغربة وفاقة وشتاء بعد صحة ودعة ويسار وقدرة على التنقل بين الأجواء، فآثر التلف البغيض الذي لا تخفى غائلته ولا تخفى عقباه ، على أن يشترى السلامة بعودة فيها خضوع وتعليم

قال الأستاذ الرافعي في مقدمة كتابه عن محمد فريد إن الأمة « لم تقدره حق قدره ولا عرفت له عظيم منزلته »

وهذا ويا للأسف صحيح ؛ لأن الصفة الكبرى التي امتاز بها هذا القديس الوطني هي الصفة الكبرى التي تجهلها نحن المصريين أو نحن الشرقيين على التعميم ، وهي الصفة الكبرى التي لا نصدقها إن لمسناها ولمسنا آثارها ، لأنها أشبه عندنا بغرائب الأساطير وخوارق الطبيعة : وهي المفاداة الخالصة مع الإيمان الثابت . فقد يلام الرجل على هذه الصفة العلوية لأنها تلتبس علينا بالتفريط ؛ وقد يحمد على الحرص واقتناء المنافع ، ولا يحمد على تضييع منفعة أو نسيان أثرة حريصة ، لأن المفاداة شذوذ لم نألفه طويلاً في عادات المجتمع ولا في عادات الأفراد

وما من شيء في اعتقادنا هو أجدى على المصريين والشرقيين من كتاب يؤكد صفة المفاداة ويثبت وجودها في رجل معروف السيرة معروف الأعمال مستقيم الخلق كمحمد فريد لم يشتهر بنزوات أهل الشذوذ ولا ببدوات التفرد والاستثناء

فإن الشك في وجود المفاداة يغلق المسالك بين ألسنة المصلحين الغيورين وأسماع السواد والغاشين : إنهم لا يصدقون غيرة المصلح الذي يعمل لفكرة يحققها أو مثل عال يجري وراءه ، وإن صدقوا منه هذه الغيرة نظروا إليها نظرتهم إلى طبيعة غريبة ليست منهم وليسوا هم منها ، فلا وجه لاقتدائهم بها ومجاراتهم لأصحابها ؛ إذ ليس من عادة الإنسان أن يصغى إلى من يحلهم منه محل الغرباء المخالفين لسنته في حياته ، وإنما يصغى إلى من يعيشون معه على سنة واحدة ، وينتفي بينهم وبينه شعور الاستغراب والاستبعاد !

وهذه ولا ريب إحدى فوائد الكتاب الذي كتبه الأستاذ الرافعي في سيرة هذا الرجل الكبير

* * *

على أننا نحب أن نستدرك هنا استدراكا له موضعه وله موجبه فيما يكتب بيننا عن القداسة والقديسين

فقد تعودنا أن نجور صفات القداسة على الصفات الدنيوية حتى خيل إلى أناس منا أن وصف القداسة يجرد الإنسان من وصف العمل الدنيوي أو المدارك الواقعية التي يحتاج إليها الساسة وزعماء النهضات القومية

فإن فهم أحد من وصفنا فريداً بالقداسة أنه لم يكن يدرك السياسة العملية إدراكها الصحيح فهو مخطئ أيما خطأ ، وجاهل بحق الرجل أيما جهالة

فقد كان فريد على نقيض ذلك أوسع أقرانه علماً بالسياسة العالمية وأوسعهم نظرة إلى العلاقة بين شؤون الوطنية وشؤون الدول والحكومات في العصر الحاضر

فلم يكن من أصحاب النخوة المحصورة أو الحماسة الضيقة التي تحبسها العصبية بين حيطان بلادها فلا تعدوها إلى غيرها ، ولكنه كان يضرب بنظره شرقاً وغرباً ليتابع الأحوال قديماً وحديثاً متابعة العليم بما بين أطوار العالم ومصير أمته ، وبما بين الحركات الإنسانية والحركات القومية من اتصال وتبادل في التأثير. ومن مقالاته قبل خمسين سنة مقالة عن المواصلات البرقية في العالم ، وسياحة الرحالة (سفن هدين) في أواسط آسيا ، وانجلترا وآسيا بأفريقيا ، والإنجليز في غرب أفريقيا ، والروسيا في مملكة كوريا ، ومطامع أوربا في الصين ، ورئاسة جمهورية الولايات المتحدة ؛ وأشباه هذه الموضوعات التي لم تكن بينها وبين الحركة الوطنية المصرية صلة قريبة في رأي الأكثرين من كتاب ذلك الجيل

والذى أذكره أنا من ذكرياتى الخاصة أننى أفدت من فريد المؤرخ قبل أن أفيد من فريد الزعيم ، وأننى قرأت تاريخه للدولة العثمانية قبل أن أقرأ له مقالة سياسية ، وقبل أن يتفرغ للدعوة الوطنية ويشتغل بها ذلك الاشتغال الذى صرفه عن التأليف .

وسمعت بعض الأدباء يقول وقد وقع فى أيدينا كتاب من كتبه التاريخية : ألم يكن أنفع لمصر أن يمضى هذا الباحث المنقب فى الشوط الذى بدأه بتاريخ محمد على ، وتاريخ الدولة العثمانية ، وتاريخ الرومان ، وما إلى هذه المباحث التى لا يزال فراغها محسوساً فى المكتبة العربية ؟

فوافق الأديب أناس وخالفه أناس ، وكان كاتب هذه السطور من مخالفيه ولا أزال من مخالفيه ، لأن فريداً قد أخرج لنا فى القداسة الوطنية طرازاً منقطع النظير ، ولم نخسر مع هذا طرازه فى عالم البحث والتأليف ، وربما كان أصدق ما يقال فى سير العظماء « إن الخيرة فى الواقع » ، خلافاً لما يتمنون لأنفسهم ، وخلافاً لما تتمناه لهم الأصدقاء ، وهى قولة مأثورة تنطبق على سير الخالدين فيما نرى ، كما تنطبق على سير النابهين

ولقد كتب فريد صفحات طوالاً فى تاريخ القسطنطينية لم يكن عسيراً على من دونه علماً وخلقاً أن يكتبوها أو يكتبوا أمثالها ، أما الصفحة التى كتبها لنفسه فى القسطنطينية أيام الحرب العظمى فإحدى صفحات قلائل فى سجل البطولة لا يكتبها إلا فريد ومن وهبوا ما وهبه فريد من فضيلة الصدق والمفاداة ، وهم قليلون

ومثّل لنفسك رجلاً منقطعاً عن بلده ، منقطعاً عن موارده ، ليس له جند ولا مال ، وليس له ملجأ يحميه من أسباب الجند والمال هناك ، وأينما دار ببصره لم يجد حوله ما يثبته وعلى له فى رأيه ، بل وجد الدوائر والمحظورات شتى تفت فى عضده وتثنيه ، وتؤيسه من عاقبة جهوده وأمانيه ... والدنيا حرب والقول ما قال العسكريون والدولة مشغولة كلها بالحملة على مصر أو على الولاية التى ستعود إلى مكانها القديم من الدولة العثمانية ، وهذا الرجل فى عزلته وبين ثلاثة أو أربعة ممن يسيرون على نهجه يقفون فى وجه هذا السيل الجارف ليصدوه بكلمة هى أقسى ما يسمع من قائل فى تلك الأيام ، وهى أن مصر للمصريين وليست للعثمانيين ولا لغيرهم من الفاتحين ...

هذه صفحة فريد فى القسطنطينية

وليس فى تاريخ بنى عثمان ولا تاريخ دولة من الدولات ما هو أولى بالتسجيل والتمجيد من هذه الصفحة التى كتبها بوحى لا يستوحيه مؤرخو الأبطال ، بل يستوحيه دونهم أبطال المؤرخين

وشاء القدر أن يبوء هو بفخارها وألا يبوء خصومه إلا بصغارها وعارها . فأولئك الذين عارضوه وعاندوه وأكرهوه على اللياذ منهم بآفاق أوربا وهى أضيق عليه من سم الخياط ... أولئك المعارضون والمعاندون هل عارضوه وعاندوه إيثاراً لتركيا أو إيثاراً لمصر أو إيثاراً للحرية والحضارة الإنسانية ؟

... كلا . بل كان هذا وزراً منافساً لأمير مصر فهو يغتنم الفرصة السانحة لشفاء الضغن وإحياء التراث ؟ وكان هذا قائداً طموحاً فهو يتخذ من دولته ومن مصر معها مطية لطموحه ؟ وكان هذا وذاك وغيرهما مصريين يقسمون بينهم مناصب الحكم فى الولاية العثمانية المنظورة ! ! وكان فريد وحده أو فريد ومعه تلميذان أو ثلاثة من مريديه يعملون للحق ويخلصون للدولة العثمانية إخلاصهم للأمة المصرية

وهذه إحدى الصفحات التى كانت تفوتنا لو قضى فريد حياته فى تاريخ الأبطال ، ولم يقضها بطلاً يرتجل هذه العظات والأمثال

* * *

وستنصف مصر فريداً يوم تنصف نفسها وتستحق الإنصاف من أقدارها . أما اليوم فكل ميدان فيها يتسع لتمثال فريد فهو ميدان يتسع للتنبيه والمؤاخذة ، ويتسع لكلام كثير

عباس محمود العقاد

الأنصار

يقدمها أصدقاء الثقافة الإسلامية

صدر العدد السابع ومن موضوعاته :

«القرم» مركز إسلامى فى روسيا	أبو القاسم بن عباس الجراح العربى
طبيعة السيد ـ مشاهد من حياة العرب	مصر والفن الوثنى المعاصر
روابط الحاكم والمحكوم فى تعاليمنا	ما وراء الستار فى وزارة المعارف

روسيا الشيوعية ... ومصر الاسلامية

للمكاتبات بعنوان «الأنصار» شارع البستان رقم ٢٤ ميدان الفلكى